بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم عبرة لمن تدبر، وأصلي وأسلم على من أنذر وبشر سيداً محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين.

أما بعد:

فقد عني العلماء بما في القرآن الكريم من روائع، وأبرزوا ما فيه من بدائع، وقد برعوا فيما كتبوا، وأبدعوا فيما وضعوا، وقد ساعدهم على هذا ما اتصف بها علماؤنا من حسٍّ مرهف، ودقة متناهية في إدراك أسرار التعبير القرآني، وقد تنوعت هذه الجهود فشملت كل شارة وواردة، وما زال المعين زاخراً كأن لم تمسسه يد.

وقد لاحظت في سورة طه نمطاً خاصاً من الحوارات الواردة، وما فيها من إجابات انطوت عليه من معانٍ كان لها الأثر الكبير في إثراء المعنى، وفي تحديد ملامح السياق القرآني، فكانت الرغبة في دراستها لاستجلاء بعض مضامينها الإثرائية في هذا البحث الموسوم (أثر الأسئلة والأجوبة في إثراء المعنى القرآني – سورة طه أنموذجاً).

ولم يكن الحوار أو السؤال والجواب هدفي في هذا البحث بل وسيلتي إلى استظهار المعنى القرآني المترتب عليها، والحاصل في بعض المواضع من السورة الشريفة.

وقد اعتمدت المنهج التحليلي في دراسة هذه الآيات مستعيناً بأقوال المفسرين والبلاغيين في توضيح المعاني، ولبيان أثر السؤال والجواب، ولمحدودية حجم البحث اقتصرت على بعض الأسئلة، لعل الله تعالى ييسر دراستها في بحث لاحق.

وقد اقتضت مستلزمات البحث أن أقسم بحثي هذا بعد هذه المقدمة على أربعة مباحث، تناولت فيها دراسة أبرز مواضع السؤال والجواب في سورة

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

طه، وكما يأتي:

المبحث الأول: السؤال عن العصا.

المبحث الثاني: سؤال فرعون.

المبحث الثالث: سؤال السحرة.

المبحث الرابع: سؤال عن العجلة.

ثم خاتمة البحث التي بينت فيها أهم النتائج والتوصيات.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

العدد
٥٦

٢٣
ربيع الثاني
١٤٤٠هـ

٣٠
كانون أول
٢٠١٨م

المبحث الأول

السؤال عن العصا

إن أول سؤال وجواب يطالعنا في سورة طه، هو سؤال الله تعالى لنبيه الكريم موسى (عليه السلام) ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1].

شاع بين بعض المثقفين أن إجابة موسى (عليه السلام) كان فيها إطناب لا موجب له، والحقيقة أن في جواب موسى (عليه السلام) دقائق خفية توسع في ذكرها محيي الدين درويش وأجاد، ومما قاله عن هذا الجواب[2]:

إن في هذا الجواب فن التلفيف، وحدّه: إخراج الكلم مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره، وإنما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه. وهو أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة إلى بيانها كلها أو أكثرها، فيعدل المسؤول عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبيين ذلك النوع، ويجيب بجواب عام يتضمن الإبانة على الحكم المسئول عنه وعن غيره بدعاء الحاجة إلى بيانه، فقول موسى (عليه السلام) جواباً عن سؤال الله تعالى له: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ هو الجواب الحقيقي للسؤال، ثم قال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾،فأجاب عن سؤال مقدر: كأنه توهم أن يقال له: وما تفعل بها؟ فقال معددًا منافعها.

ولم يقع ذلك من موسى (عليه السلام) إلا لأمور ثلاثة:

١. بغية الشكر لله تعالى الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب ما لا يوجد في مثلها.
٢. إن المقام مقام خطاب الحبيب وهو يقتضي البسط والإسهاب.
٣. تعظيم مساءلة ربه له عن منافعها فابتدأه بالجواب عن السؤال المقدر قبل وقوعه أدبا مع ربه.

والواقع أن السؤال إذا كان واردا على شيء ظاهر فذلك السؤال إنما يتوجه

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

إلى أمر يتعلق به بحسب مقتضى الحال وإلا كان عبثًا لظهوره، فلما كان السؤال عن أمر ظاهر، فيكون متوجهًا إلى ما يتعلق بالعصا من منافعها؛ فكأنه قال: ما تفعل بما في يمينك يا موسى؟ فلذلك قال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾.

فإن قلت: لو كان قوله تعالى: وما تلك بيمينك سؤالا عما لا يتعلق بالعصا فكان حقّ الجواب أن يقول: أريد أن أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي؛ ولكان قوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ ضائعاً غير مطابق للسؤال.

وجواب هذا السؤال وإن كان عما يتعلق بالعصا؛ لكنه تعالى لما علم أنه سيرد عليها الصورة الثعبانية عند سحر السحرة، وكان ذلك مقام أن يخاف موسى (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) بمشاهدة الصورة المنكرة التي ليس يعهدها، فأراد تثبيت ماهيتها وعوارضها في نفسه لئلا يدهش عند ورودها عليه، فلذلك قال: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ ليجيب عن ماهيتها أيضاً، كما يجيب عن منافعها لزيادة التثبيت.

فحاصل معنى الجواب حينئذ: هي عصاي أعرفها بالذات والعوارض، وإن صورتها مقررة في نفسي لا تنفع إلا منافع أمثالها؛ فإني قديما أتوكأ عليها، وأهش بها على عنمي ولي فيها مآرب أخرى.

واختار (تلك) مع قرب المشار إليه، إما لتحقيره بالنسبة إلى جناب كبريائه، أو للتعظيم لاشتمالها على الأمور العجيبة والمنافع الكثيرة.

ثم ذكر درويش وجه بلاغياً آخر في هاتين الآتين: وهو التقرير بالاستفهام؛ فإنه سبحانه عالم بما بيمينه، وإنما أراد أن يقرّ موسى ويعترف بكونها عصا، ويزداد علمه بما يمنحه الله في عصاه، فلا يعتريه شك إذا قلبها الله ثعبانًا، بل يعرف أن ذلك كائن بقدرة الله وانه هين عليه يسير[٣].

وفي جواب موسى (عليه السلام) إطناب، فهو "لا يكتفي بالملزوم حتى ينطق باللازم؛ لأن الخطاب محبَّب إلى نفسه؛ لأنه يخاطب ربه فيسهب في القول من غير تزيد"[٤].

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

لذلك "بسط الكلام والإطناب فيه بذكر المسند إليه ولو دل عليه دليل، وذلك حيث يكون الإصغاء فيه من السامع مطلوبا للمتكلم لجلال قدره أو قربه من قلبه، ومن أجل ذلك يطال الكلام مع الأحبّاء وذوي القدر وأولي العلم تلذذًا بسماعهم وتشرفا بخطابهم وانتفاعًا بكلامهم"(٥).

ويرى الزمخشري أن الباعث على هذا السؤال هو إظهار عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة، فقال: " إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة، وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة"(٦).

وذهب الرازي إلى أن السؤال عن العصا، كان لإزالة الحيرة والدهشة عن موسى (عليه السلام)، فقال:" إنه سبحانه لما أطلعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة إلى السماء، وأسمعه تسبيح الملائكة، ثم أسمعه كلام نفسه، ثم إنه مزج اللطف بالقهر فلاطفه أولا بقوله: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾(٧)، ثم قهره بإيراد التكاليف الشاقة عليه، وإلزامه علم المبدأ والوسط والمعاد، ثم ختم كل ذلك بالتهديد العظيم، تحيّر موسى ودهش، وكاد لا يعرف اليمين من الشمال، فقيل له: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، ليعرف موسى (عليه السلام) أن يمينه هي التي فيها العصا، أو لأنه لما تكلم معه أولاً بكلام الإلهية، وتحيّر موسى من الدهشة، تكلم معه بكلام البشر، إزالة لتلك الدهشة والحيرة، والنكتة فيه أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة إزالتها، فسأله عن العصا وهو لا يقع الغلط فيه"(٨).

ويرى أبو حيان أن هذا الحوار بمجمله ليستأنس موسى (عليه السلام)، فقال: " وفي هذا السؤال وما قبله من خطابه تعالى لموسى (عليه السلام) استئناس عظيم وتشريف كريم"(٩).

وقرر ابن عاشور أن إسهاب موسى (عليه السلام) في الجواب إنما كان لاستيعاب الجواب مقاصد السؤال، فقال:"ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب في شأنها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية

المسئول عنه جريًا على الظاهر، وببيان بعض منافعها استقصاءً لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده؛ لأن شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلا والسائل يريد من سؤاله أمرًا غير ظاهر"[١٠].

أما الرازي، فهو يرى أن السؤال بعبارة ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ تضمن إشارة إلى معجزتين، إذ جعل كل واحدة منهما معجزًا قاهرًا وبرهانًا باهرًا، ونقله من حد الجمادية إلى مقام الكرامة[١١].

ويرى سيد قطب أن" السؤال علم إنما كان عما في يمينه؛ ولكنه أدرك أن ليس عن ماهيتها يسأل فهي واضحة، إنما عن وظيفتها معه فأجاب"[١٢].

فمجمل الأقوال تشير إلى أن السؤال كان إيقاظًا وتنبيهً له (عليه السلام) على ما سيبدو له من التعاجيب[١٣]، أو أنّه محمول على التقرير لإذهاب الوحشة عنه[١٤].

والصحيح أنه جامع لكل هذا، فكلاهما محتمل.

المبحث الثاني

سؤال فرعون

ذكرت سورة طه طرفاً من الحوار الذي كان بين موسى وهارون (عليهما السلام) مع فرعون، وقد وجه فرعون لهما سؤالين بينهما النص القرآني في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[١٥].

لقد سأل فرعون موسى وهارون (عليهما السلام) سؤالين:

الأول: من ربكما؟ ولم يقل من ربي؟ وهذا منتهى الغرور والجحود والكبر، وإنكار الرب سبحانه[١٦].

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

الثاني: السؤال عن القرون الأولى، وهنا يعمد فرعون إلى استبعاد كلام موسى (عليه السلام) وتعجيزه، أي: ما حال القرون الأولى، كقوم نوح وعاد وثمود الذين كذبوا أنبياءهم[١٧]؟

والظاهر أن فرعون سأل هذا السؤال ليفر من الإلزام بالحجة، فلا يعترف لرب موسى بالربوبية، وعلى هذا فسؤاله يحتمل معنيين:

الأول: إذا كان الأمر كما تقول بأن الله خالق كل شيء وهاديه، فأخبرني عن تاريخ هذا العالم وأعصاره وأزمانه وأممه ما دمت رسولا لله[١٨]؟

والثاني: هو ما عبر عنه ابن كثير بقوله: "أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق، وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كذلك- لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره"[١٩]؟

فأجابه موسى (عليه السلام) بقوله: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ ﴾... الآية، والجواب بأسلوب الحكيم[٢٠]؛ لأن سؤاله عن حقيقة الرب، فأجاب بوصفه المختص به تنبيهًا على أن حقيقته تعالى لا تعرف في هذه الدار، فنزل سؤاله منزلة السؤال عن وصفه، فأجاب بخاصته[٢١].

وقد ورد هذا السؤال في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى في حوار موسى (عليه السلام) مع فرعون: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٢٢].

وهذا الجواب أيضًا على الأسلوب الحكيم، فقد نزل موسى (عليه السلام) سؤاله بمنزلة السؤال عن خواصه، فأجاب بذكرها؛ لكن لكمال حمق فرعون لم يفهم ذلك، فظن أن الجواب لا يطابق السؤال، لذلك قال فرعون مستغرباً: ﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾[٢٣]، وكلامه هنا شاهد على أن مساق الكلام جواب فرعون بالأسلوب الحكيم واستغرابه بعدم مطابقة الجواب السؤال لعدم معرفته لفرط حمقه[٢٤].

وهنا احتمال أن يكون فرعون قد سأل سؤالين، أو أن القرآن الكريم عبر عنه بلفظين، لذلك اقتصر في سورة طه على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته

فيما هو المقصود، وعلى القول بوقوع الأمر مرتين قيل: إن فرعون سأل في المرة الأولى طلباً للوصف المشخَّص، وقيل: إنه سؤال عن الجنس، كأنه قال: أبشر هو أم ملك أم جني؟ والجواب من الأسلوب الحكيم.

وأخرى طلباً للماهية والحقيقة انتقالاً لما هو أصعب ليتوصل بذلك إلى بعض أغراضه الفاسدة حسبما قص الله تعالى بعد، وما يسأل بها عن الحقيقة مطلقا سواء كان المسئول عن حقيقته من أولي العلم أو لا فلا يتوهم أن حق الكلام حينئذ أن يقال من رب العالمين؟ حتى يوجه بأنه لإنكار اللعين له عز وجل عبر بما، ولما كان السؤال عن الحقيقة مما لا يليق بجنابه جل وعلا، قالَ موسى (عليه السلام) عادلاً عن جوابه إلى ذكر صفاته عز وجل على نهج الأسلوب الحكيم إشارة إلى تعذر بيان الحقيقة[٢٥].

يلاحظ هنا أن هذا السؤال من قبيل خطاب الاثنين بلفظ الواحد[٢٦]، وهو ما يعرف بالالتفات[٢٧]، فقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾، أي: يا موسى وهارون، بدليل: ﴿رَّبُّكُمَا﴾، وقيل في سبب ذلك:

أحدهما: أنه أفرد موسى (عليه السلام) بالنداء بمعنى التخصيص والتوقف إذا كان هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات[٢٨].

والثاني: لما كان هارون أفصح لساناً منه على ما نطق به القرآن، وكان موسى (عليه السلام) ذا رتة، فأراد أن يفحمه، فنكب فرعون عن خطابه حذراً من لسانه[٢٩]، واستدل أصحاب هذا القول باستصغار فرعون لموسى (عليه السلام) بما حكاه تعالى عنه: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٣٠].

والثالث: أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية[٣١].

والرابع: اقتصر على ذكر موسى وحده مراعاة للفاصلة[٣٢].

والخامس: إنهما جميعاً بلَّغا الرسالة وإن كان ساكتاً لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد، فإذا انقطع وآزره الآخر وأيده فصار لنا في البناء فائدة علم أن الاثنين إذا قلَّدا أمراً فقام به أحدهما والآخر شَخْصُه هناك موجود مستغنىً عنه في وقت دون وقت، أنهما أديا الأمر الذي قُلّدا وقاما به واستوجبا

الثواب[٣٣].

واعترض أبو السعود على القول الثاني بقوله: " وأمّا ما قيل من أن ذلك لأنه قد عرف أنه له (عليه الصلاة والسلام) رتة، فأراد أن يفحمه، فَيَرُدُّهُ ما شاهده منه (عليه الصلاة والسلام) من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارع"[٣٤].

والحقيقة أن لكل سبب من هذه الأسباب وجه محتمل، له أبعاده النفسية الواقعية:

فعلى القول الأول، فإن فرعون تنبه إلى أن موسى (عليه السلام) هو المتولي للأمور، وهذا الأمر ليس من العسير إدراكه، ولاسيما من قبل ملك متغطرس مثل فرعون، إذ يمكن إدراكه بالفراسة، أو بالقرائن الملموسة، مثل تقدمه في الدخول على فرعون، أو مبادرته بالكلام، ونحو ذلك.

والقول الثاني قول وجيه أيضًا، وهو يعبر عن حقيقة فرعون، إذ ظنه الجانب الأضعف في الحوار، فأراد تخصيصه بالذكر ليلزمه الإجابة بنفسه لا بوساطة أخيه، لعله يعترضه بعض التلكؤ، فيكون هذا مدعاة لحرج موسى (عليه السلام) مما يؤثر فيه، وكذلك يوهن موقفه أمام الحاضرين.

والقول الثالث محتمل أيضًا، وينطوي على احتمالين:

أحدهما: أراد الإدلال بالتربية لكسب وده، وتذكيره بإحسانه المتقدم عليه، ليخفف من وطأة حديثه، وهو أمر شائع في التحاور بين الناس بأن يدل أحدهما على محاوره بإحسانه عليه.

الآخر: أنه قال هذا إنكاراً عليه، وإظهاره بمظهر الناكر للجميل، وهذا الاحتمال هو الراجح، ويؤيده قول فرعون: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٣٥].

أما مراعاة الفاصلة، فهو أمر معروف في القرآن الكريم، وهو يوافق كلام العرب في مراعاتهم ذلك في شعرهم ونثرهم.

والقول الخامس محتمل أيضًا؛ ولكنه يصلح للتفسير لا لبيان السبب.

واختلف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾... الآية، أهو من

قول موسى (عليه السلام) أو من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؟

فهو إما أن يجعل من قول موسى (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) فيكون من باب قول خواص الملك: أمرنا وعمرنا، وإنما يريدون الملك، وليس هذا بالتفات، وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾، ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات العامة على خلقه، فليس التفاتاً أيضا، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب، وقيل: إن كلام موسى (عليه السلام) تم عند قوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾، وما بعده من كلام الله تعالى. والراجح من أقوال المفسرين أن كلام موسى قد انتهى عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾، وأن هذه الآية وما بعدها خطاب لمشركي مكة[٣٦].

المبحث الثالث

سؤال السحرة

عندما احتشد السحرة لتحدي موسى (عليه السلام)، وجهوا سؤالاً له بقولهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[٣٧].

في الآيتين تخيير من السحرة لموسى (عليه السلام)، وفي هذا التخيير استعمال أدب من السحرة في التعامل مع موسى (عليه السلام) لما رأوا منه (عليه السلام) ما رأوا من مخايل الخير ورزانة الرأي، وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم، وكأنَّ الله عز وعلا ألهمهم ذلك، وعلم موسى (عليه السلام) اختيار إلقائهم أولاً مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر، ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه، وقذف بالحق على الباطل، فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين[٣٨].

وهذا الأدب هو عادة عقلاء الخصوم قبل وقوع الخصام في سياق مفهم أن قصدهم الإلقاء أولاً[٣٩]، ولا جرم أن الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى (عليه السلام) أن منَّ عليهم بالإيمان والهداية ولما راعوا الأدب أولاً وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك[٤٠].

وفي تخييرهم لموسى (عليه السلام) فيه إظهارا للجلادة بإراءة أنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير[٤١]، لما في ذلك من إظهار ثقتهم بمقدرتهم وأنهم الغالبون، سواء ابتدأ السحرة موسى بالأعمال أم كانوا هم المبتدئين.

ووجه دلالة التخيير على ذلك أن التقدم في التخييلات والشعوذة أنجح للبادئ؛ لأن بديهتها تمضي في النفوس وتستقر فيها، فتكون النفوس أشد تأثراً بها من تأثرها بما يأتي بعدها، ولعلهم مع ذلك أرادوا أن يسبروا مقدار ثقة موسى (عليه السلام) بمعرفته مما يبدو منه من استواء الأمرين عنده، أو من الحرص على أن يكون هو المقدم؛ فإن لاستضعاف النفس تأثيراً عظيماً في استرهابَها وإبطال حيلتها، وقد جاءوا في جانبهم بكلام يسترهب موسى ويهول شأنهم في نفسه، إذ اعتنوا بما يدل على ذواتهم بزيادة تقرير الدلالة في نفس السامع، فكلامهم يوحي بأنهم كانوا أحرص على إلقاء سحرهم أولاً ، ليفوزوا بالغلبة، ويحظوا بالأجر الموعود[٤٢].

فإذا زدنا على هذا المعنى المستكن، والسر الخفي، محافظة القرآن الكريم على رعاية الفواصل بعد المعنى في كلتا السورتين، حتى يطرد النظم، ويتكامل التناسب، تبين لنا أن القرآن الكريم في قمة السمو في التعبير، فلو جاء التعبير (إما أن تلقي، وإما أن نلقي) فإن فيها فضلاً عن عدم اطراد النظم وتخالف الفاصلة، ما يشير إلى عوامل الشك والقلق الذي يساور السحرة من نتيجة إلقائهم السحر[٤٣].

إذ لما كانت رغبتهم أن يلقوا قبله نبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ حيث قالوا: ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾، فالموافق للسياق: (وإما أن نلقى)، ووجه المبالغة أن قولهم: ﴿أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ يفيد ثبوت الخبر للاسم[٤٤].

وفي اختصار جوابه (عليه السلام): ﴿ أَلْقُوا۟ ﴾ كرماً وتسامحاً في مقابل تخييرهم، أو ازدراءً بهم ووثوقاً على شأنه[٤٥]، أي: ألقوا ما تريدون وكل ما في خواطركم، ولم يقيدهم بشيء لجزمه ببطلان ما جاءوا به من معارضة الحق[٤٦].

وهو جواب عما يقال: إنّ إلقاءهم الحبال والعصيّ معارضة للمعجزة بالسحر وهي كفر، والأمر بالكفر كفر فكيف أمرهم به؟

والجواب: أنّ السحرة إنما جاؤوا لإلقاء الحبال والعصيّ، وقد علم موسى (عليه السلام) أنهم لا بد وأن يفعلوا ذلك، وإنما وقع التخيير في التقديم والتأخير كما صرّح به في الآية الأخرى: ﴿ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ أوّل من ألقى، فجوّز لهم التقديم لا لإباحة فعلهم بل لتحقيرهم، وقلة مبالاته بهم وللوثوق بالتأييد الإلهيّ وأنه لن يغلب سحر معجزة فقط، وهذا لا دلالة له على الرضا بتلك المعارضة، وأيضا أذن لهم ليبطل سحرهم، فهو إبطال للكفر بالآخرة وتحقيق لمعجزته[٤٧].

المبحث الرابع

سؤال عن العجلة

هذا سؤال الله تعالى لموسى (عليه السلام) في المواعدة، إذ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[٤٨].

"لما نجَّى الله تعالى بني إسرائيل وأغرق فرعون، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتاب من عند الله، فيه الحلال والحرام والفرائض، فأوحى الله تعالى إليه يَعِدُهُ أنه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلَّمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطور لأخذ التوراة، فعَجِل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وأمرهم بلحاقه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلة عن قومك"[٤٩]؟

وقيل: خرج السؤال إلى معنى اللوم، ذلك لان الله تعالى لما أمر موسى (عليه السلام) أن يسير ببني إسرائيل إلى الطور، تقدم وحده، مبادرة إلى أمر الله، وطلبا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه الخير لنفسه ولقومه، فلما وصل موسى إلى الطور وحده سأله

تعالى على وجه الإنكار لتقدمه على قومه، وقيل: ليخبره بما صنعوا بعده من عبادة العجل فاعتذر موسى (عليه السلام)[٥٠].

وقيل: إن موسى (عليه السلام) خرج بنفر من قومه إلى الجبل؛ ليأخذ التوراة، فعجل حتى خلفهم وتركهم وراءه، وقيل: لم يخرج بنفر، ولكن خرج وحده وترك قومه[٥١].

والمعنى: أي شيء عجل بك عن قومك فتقدمت عليهم، والمراد بهم النقباء السبعون، والمراد بالتعجيل تقدمه عليهم لا الإتيان قبل تمام الميعاد المضروب خلافاً لبعضهم. فقال موسى (عليه السلام): ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ متضمن لبيان اعتذاره (عليه السلام)، فظننتُ أنها لا تُخِل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقةِ أصلاً، وحاصله عرض الخطأ في الاجتهاد؛ كأنه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) قال: إنهم لم يبعدوا عني، وإن تقدمي عليهم بخطا يسيرة، وظني أن مثل ذلك لا ينكر، وقد حملني عليه استدامة رضاك[٥٢].

ويلاحظ هنا اختلاف المفسرين في القوم فقال بعضهم: هم النقباء السبعون، وقال آخرون: القوم جملة بني إسرائيل وهم الذين خلفهم موسى مع هارون وأمره أن يقيم فيهم خليفة له إلى أن يرجع هو مع السبعين[٥٣].

وما يميز الاستفهام هنا انه صادر عن رب العزة سبحانه وتعالى، ولذلك فهو استفهام غير حقيقي، كما في مطلع السورة؛ لان الله تعالى عالم بكل شيء، ولم يكن الاستفهام هنا مما يتعلق بالآخرة، وإنما كان المراد منه صقل شخصية موسى (عليه السلام)[٥٤].

أما الجواب فقد جاء مفصلاً ومبدوءً بالضمير، وكان في الآية الأولى ضميراً عن العصا في قوله تعالى (وما تلك) وعن الكاف بالتحديد، وفي الآية الثانية ضميراً عن (قومك) وكان التطابق واضحاً بين الجواب والسؤال في الآية الأولى أما في الثانية، ففضلاً عن التطابق نجد ذكر السبب في عجلته؛ لأن الاستفهام كان للإنكار.

وتساءل الرازي: إن التقدم إما أن يكون ممنوعاً، أو غير ممنوع، فإن كان ممنوعاً كان ذلك التقدم معصية فيلزم وقوع المعصية من الأنبياء، وإن قلنا: إنه ما كان ممنوعاً، كان ذلك الإنكار غير جائز من الله تعالى؟

"والجواب: لعله (عليه السلام) ما وجد نصاً في ذلك، إلا أنه باجتهاده تقدم فأخطأ في ذلك الاجتهاد فاستوجب العتاب"(٥٥).

والذي يبدو للباحث أن المسألة لا تستلزم وضعها في هذين الحدين: المعصية أو الإنكار، فإن التقدم لم يكن ممنوعاً، وأن الله تعالى لم ينكر عليه ذلك، وأن السؤال ليس للإنكار كما ذهب بعض المفسرين، وهذا شبيه بأن يسأل المدرس تلميذه لم اخترت خط النسخ في كتابتك؟ أو الأب لابنه: لم فعلت هذا الأمر بهذا الشكل؟

وإن الغرض منه الاستفسار عن وجهة نظره في الأمر، ولما كان الله تعالى عالماً بسبب تقدم موسى (عليه السلام)، أراد بهذا السؤال أن يحسب موسى (عليه السلام) لكل خطوة حسابها؛ فإن تقدّم على قومه، فيجب أن يكون تقدمه هذا محسوباً، لا اعتباطاً، وإن تأخر، فيجب أن يكون تأخره محسوباً، هو الآخر، وتظهر أهمية هذا السؤال في التنبيه إلى ما تسببه هذا التقدم من آثار، وهي فتنة بني إسرائيل واتخاذهم العجل، وأن الحالة المثلى أن يكون مع قومه، فلا يتقدم ولا يتأخر، إلا إن كان هذا بقصد، وأن التقدم لمزيد شوق إلى لقاء ربه تعالى لا يمنع من وضع الأمور في نصابها الصحيح، وأن يعد لكل أمر عدته، فالشوق ليس مسوغاً للتغاضي عن الجوانب الموضوعية، ومثال على ذلك أن يتشوق شخص إلى صلاة الظهر في المسجد، فينسى أن يجلب ولده من المدرسة، أو تتشوق الأم إلى الصلاة، فتنسى الطعام على النار.

وتساءل الرازي أيضًا عن العجلة، وهي مذمومة؟

فأجاب بأنها ممدوحة في الدين، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(٥٦).

وسأل الرازي سؤالاً آخر فقال: " قوله: ﴿لِتَرۡضَىٰ﴾ يدل على أنه (عليه السلام) إنما فعل ذلك لتحصيل الرضا لله تعالى، وذلك باطل من وجهين:

أحدهما: أنه يلزم تجدد صفة الله تعالى.

والآخر: أنه تعالى قبل حصول ذلك الرضا وجب أن يقال: إنه تعالى ما كان راضيا عن موسى؛ لأن تحصيل الحاصل محال، ولما لم يكن راضياً عنه وجب أن يكون ساخطا عليه، وذلك لا يليق بحال الأنبياء (عليهم السلام).

الجواب: المراد تحصيل دوام الرضا كما أن قوله: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾[٥٧] المراد دوام الاهتداء"[٥٨].

وهذا سؤال فيه افتراض أمرين محالين، والجواب أبسط من ذلك، فإن طلب الرضا لا يعني أنه كان معدوماً، وإنما القصد منه زيادة الرضا، كما في دعائه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم): «اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»[٥٩]، فلا يقال: إن النبي (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) لم يكن على طريق الهدى والسداد، غاية ما في الأمر، بل أن يكون في سؤاله طالباً غاية الهدى، ونهاية السداد، وفيه معنى قوله تعالي: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٦٠]، أي: هداية لا أميل بها إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط[٦١].

أما قول الرازي: " قوله: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ﴾ يدل على أنه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عينه الله تعالى له، وإلا لم يكن ذلك تعجيلاً، ثم ظن أن مخالفة أمر الله تعالى سبب لتحصيل رضاه، وذلك لا يليق بأجهل الناس فضلا عن كليم الله تعالى؟

والجواب: ما ذكرنا أن ذلك كان بالاجتهاد وأخطأ فيه"[٦٢].

إن الرازي افترض أن موسى (عليه السلام) تعجل، أي: وصل قبل الموعد المضروب، وأن هذا التعجل كان خطأً.

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: ما تقدم من الجواب عن تساءل الرازي الأول أن الأمر لم يكن خطأً.

الثاني: إن الموعد يضرب وقد يكون زمانياً أو مكانياً، والسياق القرآني يدلّ على أنه كان مكانياً، وليس هناك دليل على أن الموعد كان مقيد بزمن معين.

الثالث: على افتراض أن موسى (عليه السلام) تعجل قبل الموعد المضروب؛ فإن السؤال عن ذلك سيكون بأداة الاستفهام (لم)، وليس (ما).

وتساءل الراي أيضًا بقوله: " قوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ يقتضي كون الله في الجهة؛ لأن إلى لانتهاء الغاية.

الجواب: توافقنا على أن الله تعالى لم يكن في الجبل، فالمراد إلى مكان وعدك"(٦٣).

وهذا الجواب يؤيد أن مذكرته من أن الموعد كان مكانياً لا زمانياً.

وتساءل أيضًا بقوله: " ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾ سؤال عن سبب العجلة، فكان جوابه اللائق به أن يقول: طلبت زيادة رضاك والشوق إلى كلامك، وأما قوله: هم أولاء على أثري فغير منطبق عليه كما ترى"(٦٤).

ثم قال:" والجواب من وجهين:

الأول: أن سؤال الله تعالى يتضمن شيئين:

أحدهما: إنكار نفس العجلة.

والثاني: السؤال عن سبب التقدم، فكان أهم الأمرين عند موسى (عليه السلام) بالجواب هذا الثاني، فقال: لم يوجد مني إلا تقدم يسير لا يحتفل به في العادة وليس بيني وبين من سبقته إلا تقدم يسير يتقدم بمثله الوفد عن قومهم، ثم عقبه بجواب السؤال عن العجلة، فقال: وعجلت إليك رب لترضى.

الثاني: أنه (عليه السلام) لما ورد عليه من هيبة عتاب الله تعالى ما ورد ذهل عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام، واعلم أن في قوله: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، دلالة على أنه تعالى أمره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين"(٦٥).

وما ذكره الرازي هنا يتعارض مع قوله السابق، ويؤيد ما ذكره الباحث أن موسى (عليه السلام) سئل عن سبب تعجله، وليس لومه أو الإنكار عليه.

ومع ذلك فإن الباحث لا يرى أن جواب موسى (عليه السلام) لم يكن متطابقاً مع السؤال، بل كان متطابقاً بالكلية، فهو شبيه بجوابه عن العصا، فالسؤال كان عن سبب تقدمه على قومه، فأجاب بأنهم على أثره، ثم علم أن هذا السؤال لم يكن من الله تعالى عبثاً بل له غاية، فبين موسى (عليه السلام) غايته من هذه العجلة.

والمقصود أن موسى (عليه السلام) كان أسرع من قومه في مسيره، وهذا أمر طبيعي، فالفرد يكون أسرع من الجماعة، فضلاً عن أن قوة الإيمان والشوق إلى اللقاء عند موسى كانت أكثر مما لدى قومه بأضعاف، لذلك لا غرابة أن يسبقهم في المسير، فكل شخص منهم يتقدم على حسب قوة إيمانه.

وقد أجاب محيي الدين درويش عن سبب عجلة موسى (عليه السلام) بقوله:

"آ- لتعريف المسئول بما يجهله من أمور وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنة قومه فقد قيل انهم كانوا نحو ستمائة ألف نفس ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفا.

ب- تبكيت المسئول وتفهيمه وتنبيهه إلى خطل ما جاء به من ترك القوم وإفساح المجال للسامري كي يضلهم لأنه مغرق في الضلالة وماهر في الإضلال.

ج- تعليم المسئول آداب السفر وهي: انه ينبغي على رئيس القوم أن يتأخر عنهم في المسير ليكون نظره محيطا بهم ونافذا فيهم ومهيمنا عليهم، وقاطعا الطريق على كل فتنة قد تتسرب إلى صفوفهم.

على أن موسى (عليه السلام) أغفل هذه الأمور، ولعله ملم بها ومطلع عليها؛ ولكن الشوق إلى لقاء الله والمسارعة إلى ميعاده ألهب قلبه فلم يملك عنان صبره الجامح وذلك شأن الموعود بما طال حنينه "ليه يودّ لو امتطى أجنحة الطير واستبق الساعات وهل ثمة ما يلهب الشوق مثل مواعدة الله"(٦٦)؟

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آل كل وصحب كل أجمعين.

في خاتمة ذا البحث ألخص أهم النتائج والتوصيات بما يأتي:

أولاً: النتائج:

١. إن اشتمال القرآن الكريم على السؤال والجواب في الحوار حقَّق منافع كبيرة في استظهار المعنى القرآني المترتب عليها، وفي إثراء المعنى، فضلاً عن منافع كبيرة تظهر في التعرف على أسلوب المحاورة، وشخصية المحاور، وآداب المحاورة وغير ذلك من الفوائد.

٢. اشتملت بعض الأجوبة على وجوه بلاغية، منها التلفيف، والالتفات، والتقرير بالاستفهام، والإطناب، والأسلوب الحكيم.

٣. إن الإجابة قد تكون أوسع من السؤال إن أريد منها إحاطة السائل بأجوبة مفترضة أو تفاصيل يعلم بالفطنة أن السؤال عنها.

٤. إن السؤال قد لا يراد به العلم أو الاستفهام عن حقيقة الأشياء بل توجيه المسؤول إلى فهم أو إدراك بعض الحقائق.

٥. إن بعض الأسئلة قد تكون تعجيزية يراد منها إفحام المسؤول، ولا حرج في هذه الحالة أن يبين المسؤول عدم معرفته الجواب الصحيح إن لم يكن محيطاً به، أو مطلعاً عليه.

٦. ذكر المفسرون بعض الاحتمالات الوجيهة في تفسير بعض الآيات أو الألفاظ، وتبين أن الجمع بينها يثري النص القرآني.

٧. إن راعى السائل آداب الحوار فيجب مقابلته بحسن الأدب أيضًا حتى وإن كان مخالفاً في العقيدة أو الرأي.

٨. لا يشترط التوسع في الإجابة إن كان السؤال غير ذي قيمة، أو أن السائل ممن لا يؤبه له.

٩. مراعاة تطابق الجواب مع السؤال.

١٠. لم يتفق الباحث مع بعض المفسرين أن موسى (عليه السلام) تعجل في موعده باجتهاد خاطئ، وأن السؤال الذي وجه إليه كان متضمناً اللوم والإنكار، وإنما سئل عن ذلك لتعليمه وتهذيبه.

ثانيًا: التوصيات:

إن السؤال والجواب من مقومات الحوار المهمة، والتركيز عليه في تفسير الآيات القرآنية يثري الدرس القرآني، ويضفي على المعنى بعداً جديداً، وهذه دعوة لدراسة موسعة في سور أخرى.

والله ولي التوفيق.

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

الهوامش

(١) سورة طه: الآيتان ١٧-١٨.
(٢) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١٧٣/٦ – ١٧٨.
(٣) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١٧٨/٦.
(٤) المعجزة الكبرى للقرآن: ٢٢٤.
(٥) علم المعاني: ١٣٣.
(٦) الكشاف: ٥٧/٣.
(٧) سورة طه: من الآية ١٣.
(٨) مفاتيح الغيب: ٢٤/٢٢. وينظر: السراج المنير: ٤٥٥/٢.
(٩) البحر المحيط: ٣٢١/٧.
(١٠) التحرير والتنوير: ٢٠٥/١٦.
(١١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٤/٢٢.
(١٢) في ظلال القرآن: ١٦/ ٤٦٨ - ٤٦٩ وينظر: قصص الرحمن في ظلال القرآن: ٣/ ٧٤ – ٧٥.
(١٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٧٩؛ معاني القران وإعرابه: ٣/ ٣٥٤.
(١٤) ينظر: شروح التلخيص: ١٧١.
(١٥) سورة طه: الآيات ٤٩-٥٥.
(١٦) ينظر: بحر العلوم: ٤٠١/٢؛ مراح لبيد: ٢٧/٢.
(١٧) ينظر: التفسير المظهري: ١٤٤/٦.
(١٨) ينظر: الأساس في التفسير: ٣٣٦٣/٧.
(١٩) تفسير القرآن العظيم: ٢٦٣/٥. وينظر: الأساس في التفسير: ٣٣٦٣/٧.
(٢٠) الأسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، وذلك إما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهًا له أن يقصد هذا المعنى نحو قول القبعثري للحجاج، إذ قال له الحجاج متوعدا: لأحملنك على الأدهم، يريد القيد الحديد الأسود، فقال القبعثري: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، يريد الفرس، وأما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، تنبيهًا على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال نحو قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ [سورة البقرة: من الآية ١٨٩] فقد سألوا عن النجوم وعن ماهيتها، فجاء الجواب على غير ما يتوقعون مبينا فوائد الأهلة بأنها مواقيت للناس. ينظر شرح التلخيص: ١٨٢ –١٨٣.
(٢١) ينظر: حاشية القونوي: ٨/ ٢٨٣٣.
(٢٢) سورة الشعراء: الآيتان ٢٣- ٢٤.
(٢٣) سورة الشعراء: الآية ٢٥.
(٢٤) ينظر: حاشية القونوي: ١٠/ ٢١٢٨.
(٢٥) ينظر: روح المعاني: ٧٢/١٠.
(٢٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٤٠/٢؛ بصائر ذوي التمييز: ١٠٩/١؛ الإتقان: ١١٢/٣.
(٢٧) الالتفات: هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو عكس ذلك. وقيل: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلم أو الخطاب، أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول هذا هو المشهور. وقال السكاكي: إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره. وله فوائد منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة. ينظر: التعريفات: ٣٥؛ الإتقان: ١١٤/٣؛ معترك الأقران: ٢٨٨/١؛ التوقيف: ٥٩.
(٢٨) ينظر: الكشاف: ٦٧/٣؛ المحرر الوجيز: ٤٧/٤.
(٢٩) ينظر: الكشاف: ٦٧/٣.

(٣٠) سورة الزخرف: الآية ٥٢.
(٣١) ينظر: الإتقان: ١١٢/٣؛ معترك الأقران: ١٧٦/١.
(٣٢) ينظر: الكشف والبيان: ٢٤٦/٦؛ التفسير البسيط: ٤١٣/١٤.
(٣٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٤/١١ وينظر: أنوار التنزيل: ٥٣/٤٢؛ مدارك التنزيل: ٥٧/٣.
(٣٤) إرشاد العقل السليم: ٢٠/٦.
(٣٥) سورة الشعراء: الآيتان ١٨-١٩.
(٣٦) ينظر: بحر العلوم: ٤٠٤/٢؛ مفاتيح الغيب: ٦٠/٢٢؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٩/١١؛ الانتصاف: ٦٨/٣؛ مدارك التنزيل: ٣٦٨/٢.
(٣٧) سورة طه: الآيتان ٦٥-٦٦.
(٣٨) ينظر: الكشاف: ٧٣/٣؛ فتوح الغيب: ٢٠٢/١٠؛ البحر المحيط: ٣٥٣/٧؛ مراح لبيد: ٣٠/٢؛ محاسن التأويل: ١٣٦/٧؛ تفسير المراغي: ١٢٧/١٦.
(٣٩) ينظر: نظم الدرر: ٣/ ٨٢.
(٤٠) ينظر: لباب التأويل:٢/ ٢٧١.
(٤١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦/ ٢٦-٢٧.
(٤٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٧/٩.
(٤٣) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٥٢.
(٤٤) ينظر: حاشية القونوي: ٩/ ١٦٥.
(٤٥) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٨/٣.
(٤٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ٥٩١.
(٤٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٣٥/١٤؛ البحر المحيط: ٩٢/٦؛ اللباب في علوم الكتاب: ٣٨٥/١٠؛ السراج المنير: ٣٢/٢؛ حاشية الشهاب: ٢٠٣/٤؛ روح البيان: ٧٠/٤.
(٤٨) سورة طه: الآيتان ٨٣-٨٤.
(٤٩) زاد المسير: ١٧١/٣.
(٥٠) ينظر: معترك الأقران: ٣٧٠/٢؛ التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٧٧.
(٥١) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٢٩٩/٧.
(٥٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٥/٤؛ فتح الرحمن: ٣١٥/٤؛ السراج المنير: ٤٧٨/٢؛ إرشاد العقل السليم: ٣٤/٦؛ روح المعاني: ٥٥٢/٨.
(٥٣) ينظر: الكشف والبيان: ٢٨٨/٥؛ زاد المسير: ١٧١/٣؛ أنموذج جليل: ٣٢٨؛ لباب التأويل: ٢٠٩/٣؛ فتوح الغيب: ٢٢١/١٠؛ البحر المحيط: ١٦٠/٥.
(٥٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٢؛ اللباب في علوم الكتاب: ٣٤٧/١٣.
(٥٥) مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٢. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٣٤٧/١٣؛ السراج المنير: ٤٧٨/٢.
(٥٦) سورة آل عمران: من الآية ١٣٣. وينظر: مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٢.
(٥٧) سورة طه: من الآية ٨٢.
(٥٨) مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٢.
(٥٩) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ٢٠٩٠/٤، رقم (٢٧٢٥).
(٦٠) سورة الفاتحة: الآية ٦.
(٦١) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن: ١٩٢٥/٦، فيض القدير: ٥٢٤/٤.
(٦٢) مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٢.
(٦٣) المصدر نفسه: ٨٥/٢٢.
(٦٤) مفاتيح الغيب: ٨٥/٢٢.
(٦٥) المصدر نفسه: ٨٥/٢٢.
(٦٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢٣١/٦.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٣. الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام، للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٤. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٢هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص، دار اليمامة، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ.

٥. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، أحمد بن المنير الاسكندري (ت٦٨٣هـ)، مطبوع بهامش الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦. أنموذج جليل في بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ -١٩٩١م.

٧. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

٨. البحر المحيط، أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان (ت٧٥٤هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩. البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

١١. بصائر ذوي التمييز، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي (ت٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٩م.

١٢. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (ت٢٧٦)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٣. تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي المالكي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

١٥. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٦م.

١٦. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

١٧. تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي. (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٨. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م.

١٩. التفسير المظهري، محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري الباني بتي (ت١٢٢٥هـ)، تحقيق غلام نبي تونسي، المكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢هـ.

٢٠. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٢١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م.

٢٣. حاشية القونوي، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت١١٩٥هـ) على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، مصلح الدين مصطفى إبراهيم الرومي الحنفي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٢٤. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٦. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٢٧. السراج المنير على معرفة بعض معاني علوم ربنا العليم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٢٨. شروح التلخيص، سعد الدين التفتازانيّ (ت ٧٩٢ هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، مصر، ١٩٣٧م.

٢٩. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٣٠. علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣١. عناية القاضي وكفاية الراضي المعروفة بحاشية الشهاب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٢. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت٩٢٥هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٣. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، مجموعة محققين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

٣٤. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت١٣٨٧هـ)، دار الشروق، ط٧، ١٤١٢هـ.

٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق أبي الوفا الأفغاني، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

٣٦. قصص الرحمن في ظلال القرآن، أحمد فائز الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣٧. الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)، الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٣٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٩. الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق أبي محمد عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

٤٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٤٢. محاسن التأويل، المسمى بتفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي (ت٥٤١هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

٤٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٤٥. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني التتاري الشافعي (ت١٣١٦هـ)، تحقيق محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٦. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الشافعي (ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٤٨. المعجزة الكبرى للقرآن، محمد أبي زهرة (ت١٤١١هـ)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م.

٤٩. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ.

Research Summary

Praise be to God who revealed the great Quran lesson to those who manage, and pray and I salam to warn and the Prophet Muhammad (peace be upon him) and his family of good and pure, .and his companions Almgaym
:After
The scholars, including the Holy Quran, have distinguished themselves from masterpieces, and have highlighted their innovations. They have excelled in what they wrote and created in what they have developed, and this has helped them to describe what our scholars have described as a sensitive sense and precise accuracy in understanding the secrets of Quranic expression. Each badge is still in place, and the designation is still .as bright as if it had not been touched by a hand
I have noticed in Surat Taha a special pattern of dialogues received, and the answers contained in the meanings that have had a great impact on the enrichment of the meaning, and in the determination of the features of the Koran context, was the desire to study to explore some of the contents of the enrichment in this research tagged (impact of questions and answers in .Enriching the Qur'anic meaning - Surah Taha model)
The dialogue or the question and the answer was not my goal in this research, but rather my way of memorizing the Qur'anic meaning that follows from it, and the result is in some places of .the honorable Sura
The analytical method was adopted in the study of these verses, using the statements of the interpreters and the plagiologists in clarifying the meanings, indicating the effect of the question and the answer, and the limited size of the research was limited to some of the questions. Perhaps Allaah will facilitate their study in .later research